حكاياتي

قصص تربوية للأطفال

حِكايَةُ زُجَاجَةٍ

تأليف: عُمَر الصَّاوي

رسـوم: فايزة نوار

العبيكان
Obeikan

obeikan.com

كَانَتْ زُجَاجَةُ العَصِيرِ سَعِيدَةً جِدًّا؛ لأَنَّ يُوسُفَ أَخْرَجَهَا مِنَ الثَّلَّاجَةِ، وَصَبَّ مَا تَبَقَّى فِيهَا مِنْ عَصِيرٍ فِي كُوبِهِ، وَأَخَذَ يَشْرَبُ.

كَانَ يُوسُفُ يَشْرَبُ بِسَعَادَةٍ وَتَلَذُّذٍ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الزُّجَاجَةِ، وَيَقُولُ لَهَا: يَا لَيْتَ عَصِيرَكِ اللَّذِيذَ لا يَنْتَهِي أَبَدًا يَا زُجَاجَتِي الجَمِيلَةَ!

حَمَلَ يُوسُفُ زُجَاجَةَ العَصِيرِ لِيُعِيدَهَا إِلَى الثَّلَّاجَةِ، وَلَكِنَّهُ تَنَبَّهَ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ:

(وَمَا فَائِدَتُهَا؟ إِنَّهَا زُجَاجَةٌ فَارِغَةٌ). ثُمَّ وَضَعَهَا فِي سَلَّةِ المُهْمَلَاتِ.

تَعَجَّبَتِ الزُّجَاجَةُ، وَقَالَتْ بِحُزْنٍ: يَا إِلَهِي!! أَنَا زُجَاجَةُ العَصِيرِ، بَعْدَ كُلِّ هَذَا الحُبِّ أَصِيرُ مَرْمِيَّةً هَكَذَا وَسَطَ المُهْمَلَاتِ!

تَنَبَّهَتِ الزُّجَاجَةُ إِلَى أَنَّهَا سَقَطَتْ عَلَى حِذَاءٍ مَقْطُوعٍ فِي سَلَّةِ المُهْمَلَاتِ، فَأَخَذَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ بِشِدَّةٍ، وَلَكِنَّ الحِذَاءَ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا!

الْتَفَتَتِ الزُّجَاجَةُ عَنْ يَمِينِهَا، فَوَجَدَتْ قَلَمًا مَكْسُورًا قَرِيبًا مِنْهَا، وَتَذَكَّرَتْ أَنَّهُ القَلَمُ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ وَالِدُ يُوسُفَ، وَيَعْتَزُّ بِهِ كَثِيرًا.

وَالْتَفَتَتْ عَنْ شِمَالِهَا فَوَجَدَتْ لُعْبَةً كَانَ يُوسُفُ يُحِبُّهَا، وَيُسَمِّيهَا اللُّعْبَةَ الذَّكِيَّةَ.

لَقَدْ صَارَتْ هُنَا فِي سَلَّةِ المُهْمَلَاتِ؛ لأَنَّهَا انْكَسَرَتْ، وَلَمْ تَعُدْ قَابِلَةً للإِصْلَاحِ.

فِي الصَّبَاحِ حَمَلَ يُوسُفُ كِيسَ المُهْمَلَاتِ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى الشَّارِعِ، فَوَضَعَهُ فِي صُنْدُوقِ القُمَامَةِ الكَبِيرِ، الَّذِي تُجَمَّعُ فِيهِ مُهْمَلَاتُ البُيُوتِ المُجَاوِرَةِ.

وَفِي اللَّيْلِ، جَاءَتْ عَرَبَةُ نَقْلِ القُمَامَةِ، فَأَخَذَتْ تُجَمِّعُ مَا فِي هَذِهِ الصَّنَادِيقِ، وَتَضَعُهُ فِي جَوْفِهَا الكَبِيرِ، وَتَضْغَطُهُ بِقُوَّةٍ.

تَألَّمَتِ الزُّجَاجَةُ أَلَمًا شَدِيدًا، وَشَعَرَتْ بِأَنَّهَا سَتَتَهَشَّمُ، وَكَادَتْ تَصْرُخُ مِثْلَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ حَوْلَهَا كَانَتْ تَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الضَّغْطِ وَالأَلَمِ.

وَلَكِنَّهَا تَحَمَّلَتْ، وَأَخَذَتْ تَدْعُو، وَتَقُولُ: يَا رَبِّ، نَجِّنِي، وَاجْعَلْنِي نَافِعَةً لِلنَّاسِ كَمَا كُنْتُ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ المُهْمَلَاتِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ مِنْهَا.

سَارَتْ عَرَبَةُ نَقْلِ القُمَامَةِ مَسَافَةً طَوِيلَةً، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَكَبِّ النُّفَايَاتِ، فَفَتَحَتْ بَابَهَا الخَلْفِيَّ، وَأَخَذَتْ تَرْتَفِعُ، وَتَقْلِبُ كُلَّ مَا فِي جَوْفِهَا.

كَانَتِ الأَشْيَاءُ تَتَسَاقَطُ بِقُوَّةٍ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَكَانَتِ الزُّجَاجَةُ خَائِفَةً أَنْ تَتَهَشَّمَ مِنْ كَثْرَةِ الأَشْيَاءِ الثَّقِيلَةِ الَّتِي تَتَسَاقَطُ فَوْقَهَا.

قَالَتِ الزُّجَاجَةُ بِضِيقٍ: كَيْفَ يَحْدُثُ ذَلِكَ؟! كَيْفَ يَنْتَهِي بِي الحَالُ هُنَا بَيْنَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ، وَهَذِهِ الرَّوَائِحِ الكَرِيهَةِ، وَهَذَا الجَوِّ الخَانِقِ؟!

اعْتَدَلَ القَلَمُ المَكْسُورُ، وَقَالَ: كُونِي مُتَوَاضِعَةً يَا زُجَاجَةَ العَصِيرِ؟! أَنْتِ لَسْتِ أَفْضَلَ مِنِّي؛ فَأَنَا القَلَمُ الَّذِي يَكْتُبُ العِلْمَ وَالأَدَبَ.

الْتَفَتَتِ سَاعَةٌ قَدِيمَةٌ، وَقَالَتْ: وَلَا أَفْضَلَ مِنِّي أَنَا، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا تَعْرِفُونَ قِيمَتِي، وَتَعْرِفُونَ أَنَّنِي كُنْتُ أُزَيِّنُ يَدَ صَاحِبِي، وَأُنَظِّمُ لَهُ المَوَاعِيدَ.

وَارْتَعَشَتْ قَارُورَةُ عِطْرٍ فَارِغَةٌ، وَقَالَتْ: يَا إِلَهِي، أَنَا مَنْ كُنْتُ أُعَطِّرُ صَاحِبَتِي بِأَجْمَلِ العُطُورِ، يَنْتَهِي بِيَ الحَالُ أَنْ أَشُمَّ هَذِهِ الرَّوَائِحَ الكَرِيهَةَ!

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ انْفَتَحَتِ اللُّعْبَةُ الذَّكِيَّةُ، وَقَالَتْ: يَا أَصْدِقَائِي، لَا دَاعِيَ لِكُلِّ هَذَا الغُرُورِ وَالكِبْرِيَاءِ؛ فَكُلٌّ مِنْكُمْ لَهُ جَمَالُهُ، وَلَهُ أَهَمِّيَّتُهُ.

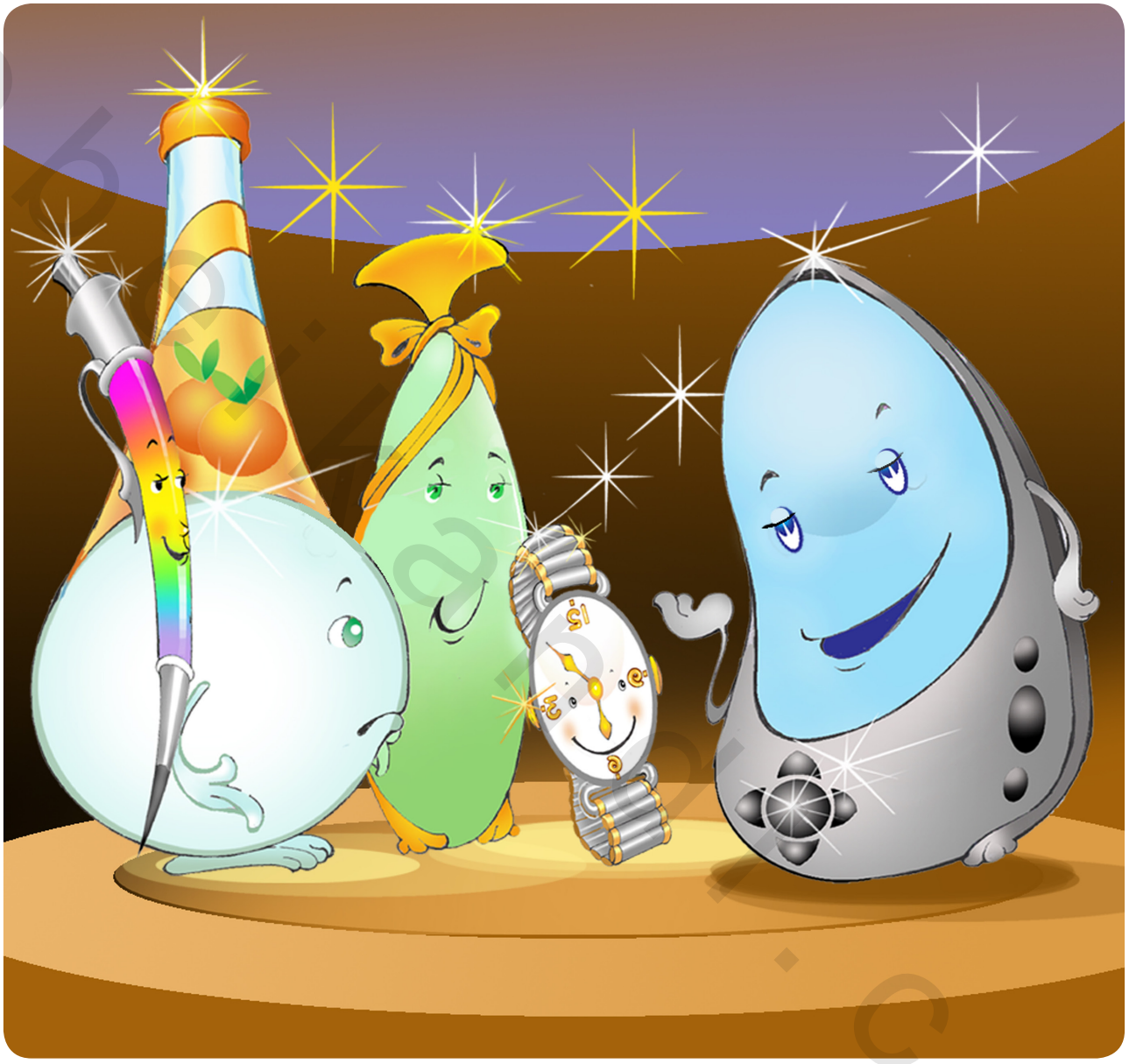

فَالقَلَمُ هُوَ الأَهَمُّ عِنْدَمَا نُرِيدُ الكِتَابَةَ، وَالزُّجَاجَةُ هِيَ الأَهَمُّ عِنْدَمَا نَشْعُرُ بِالعَطَشِ، وَالسَّاعَةُ هِيَ الأَهَمُّ عِنْدَمَا نُرِيدُ مَعْرِفَةَ الوَقْتِ.

وَفَجْأَةً بَكَتِ الزُّجَاجَةُ، وَقَالَتْ: وَلَكِنَّنَا الآنَ بِلَا فَائِدَةٍ؛ لَقَدْ صِرْنَا قُمَامَةً مَرْمِيَّةً فِي مَكَبِّ النُّفَايَاتِ، لَا أَحَدَ يَحْتَاجُ إِلَيْنَا، وَلَا أَحَدَ يَسْتَفِيدُ مِنَّا.

قَالَتِ اللُّعْبَةُ الذَّكِيَّةُ: لَا تَحْزَنِي، سَوْفَ يَسْتَفِيدُونَ بِنَا، وَلَنْ يَتْرُكُونَا مَرْمِيِّينَ بِلَا فَائِدَةٍ. هَتَفَ الجَمِيعُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: وكَيْفَ ذَلِكَ؟!.

قَالَتِ اللُّعْبَةُ الذَّكِيَّةُ: يَا أَصْدِقَائِي، نَحْنُ مَصْنُوعُونَ مِنْ مَوَادَّ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا البِلَاسْتِيكُ، وَالزُّجَاجُ، وَالحَدِيدُ، وَالنُّحَاسُ. قَالَ القَلَمُ: وَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟

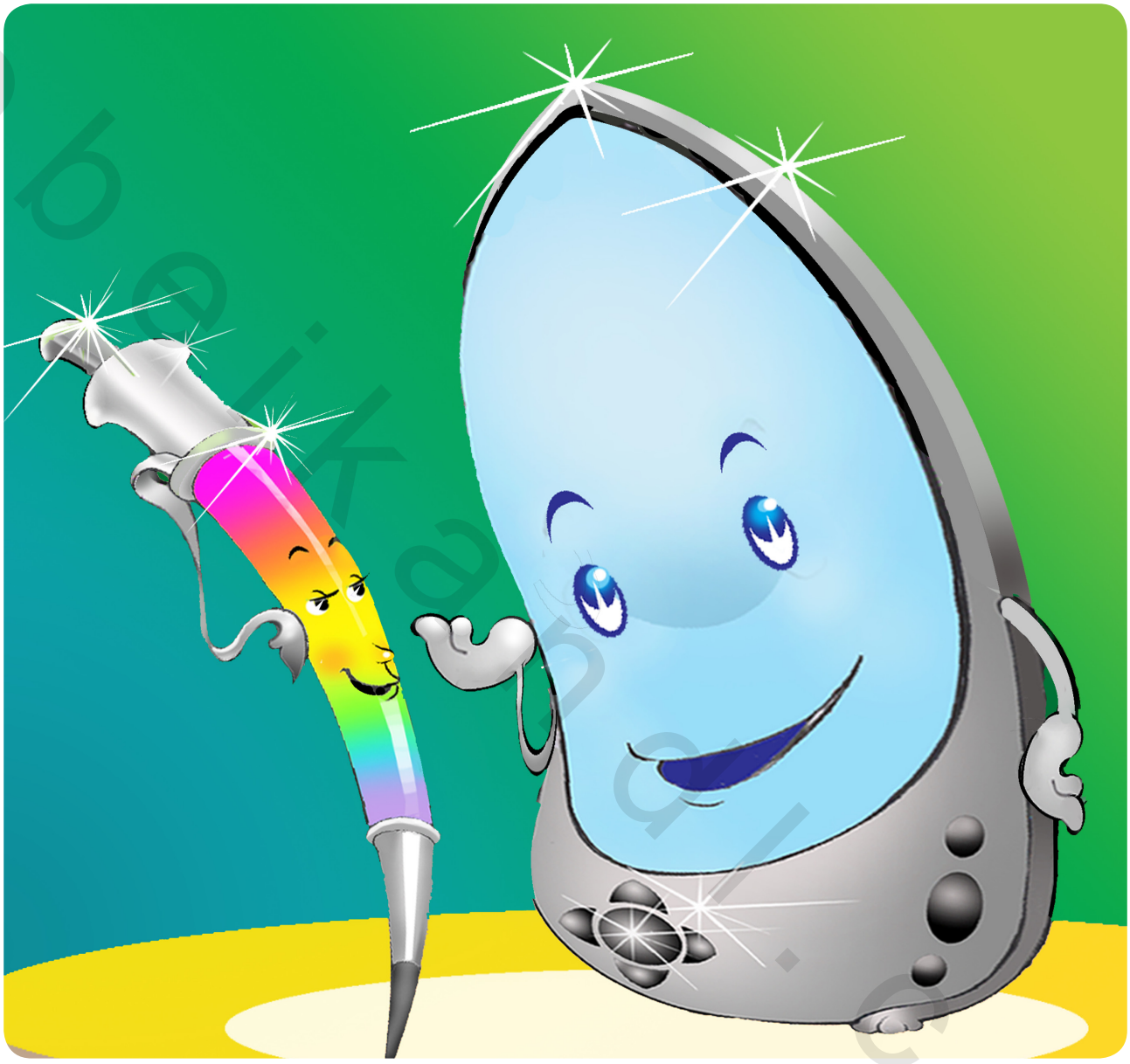

قَالَتِ اللُّعْبَةُ الذَّكِيَّةُ: هَذِهِ المَوَادُّ يَا صَدِيقِي بَدَأَتْ تَقِلُّ؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الاسْتِهْلَاكِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يُعِيدُونَ تَصْنِيعَهَا لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهَا مَرَّةً أُخْرَى.

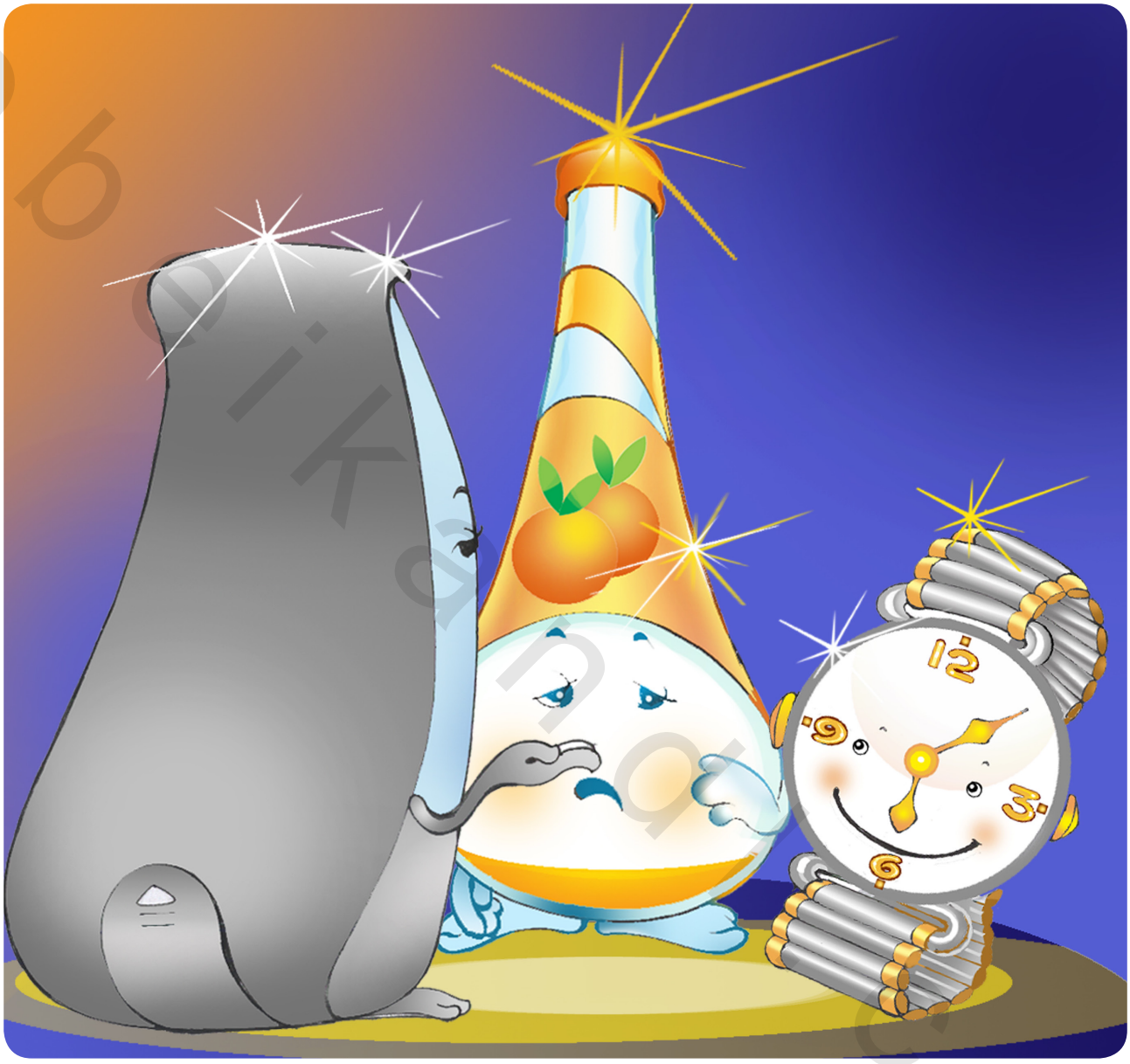

قَالَتِ الزُّجَاجَةُ: أَنَا لَمْ أَفْهَمْ، مَاذَا تَقْصِدِينَ؟ قَالَتِ اللُّعْبَةُ الذَّكِيَّةُ: سَوْفَ يَأْتُونَ، وَيُعِيدُونَ تَصْنِيفَنَا. قَالَتِ السَّاعَةُ: وَمَا التَّصْنِيفُ هَذَا؟.

قَالَتِ اللُّعْبَةُ الذَّكِيَّةُ: التَّصْنِيفُ هُوَ وَضْعُ الأَشْيَاءِ المُتَشَابِهَةِ مَعًا؛ فَالأَشْيَاءُ المَصْنُوعَةُ مِنَ الزُّجَاجِ مَثَلاً يَأْخُذُونَهَا إِلَى مَصْنَعِ الزُّجَاجِ.

وَفِي المَصْنَعِ، يَصْهَرونَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ الزُّجَاجِيَّةَ القَدِيمَةَ، وَيُنَقُّونَها. وَمِنْ هَذَا الزُّجَاجِ المُنْصَهِرِ يَصْنَعُونَ أَشْيَاءَ زُجَاجِيَّةً جَدِيدَةً.

وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ مَعَ الأَشْيَاءِ المَصْنُوعَةِ مِنَ الحَدِيدِ، وَالأَشْيَاءِ المَصْنُوعَةِ مِنَ النُّحَاسِ، وَالأَلُومِنْيُومِ، وَالبِلَاسْتِيكِ، وَالوَرَقِ، وَالجُلُودِ، وَالأَقْمِشَةِ.

وَكُلُّ مَادَّةٍ مِنْ هَذِهِ المَوَادِّ يُعِيدُونَ تَصْنِيعَهَا بِالطَّرِيقَةِ المُنَاسِبَةِ لَهَا؛ لِكَيْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا. وَبِذَلِكَ يُحَافِظُونَ عَلَى المَوَادِّ الطَّبِيعِيَّةِ، وَلَا يَسْتَهْلِكُونَهَا.

صَفَّقَتِ الزُّجَاجَةُ، وَقَالَتْ: وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يُحَافِظُونَ عَلَى نَظَافَةِ البِيئَةِ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَتْرُكُونَ الأَشْيَاءَ المُستَعْمَلَةَ وَالتَّالِفَةَ تَتَحَوَّلُ إِلَى قُمَامَةٍ تُلَوِّثُ البِيئَةَ.

ثُمَّ الْتَفَتَتْ، وَسَأَلَتِ اللُّعْبَةَ الذَّكِيَّةَ: وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ عَرَفْتِ أَنْتِ كُلَّ ذَلِكَ؟ ضَحِكَتِ اللُّعْبَةُ الذَّكِيَّةُ، وَقَالَتْ: لأَنَّنِي كُنْتُ قَارُورَةً بِلَاسْتِيكِيَّةً قَبْلَ أَنْ أَصِيرَ لُعْبَةً ذَكِيَّةً!.

صَفَّقَ الجَمِيعُ فِي سَعَادَةٍ، وَأَخَذُوا يَضْحَكُونَ، وَيَقُولُونَ: الحَمْدُ للهِ، سَوْفَ نَعُودُ إِلَى أَصْدِقَائِنَا عَلَى هَيْئَةِ أَشْيَاءَ جَدِيدَةٍ وَمُفِيدَةٍ، وَلَنْ نَظَلَّ مُهْمَلَاتٍ غَيْرَ نَافِعَةٍ!